



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"مِصْرَاع" هو النص الخامس من كتاب "فَيْقِرَا" (أي سفر اللاويين)، ويبدأ هذا النص الأسبوعي من الآية الأولى من المقطع الرابع عشر، وينتهي بالآية الثالثة والثلاثين من المقطع الخامس عشر.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى الْآخَرِينَ؟

أجاد حكماءنا اليهود التعبير ببلاغة عن "لشون هراع"، أي "الغيبة والنميمة"، والكلام عن الآخرين بطريقة سيئة أو فيها احتقار أو ازدراء لهم، وهذا هو موضوع نصنا الأسبوعي "مِصْرَاع". وقد اعتبروا أنّ خطيئة "لشون هراع" هي السبب في ظاهرة "التصارعات"، غير أنّ في الأمر مبدأ يتجاوز حدود الـ"هلاخاه"، أي الشريعة الدينية اليهودية وأحكامها العملية، وقد ورد هذا المبدأ في باب "بِداريم" 11 أ من التلمود البابلي حيث جاء: "من السليبي يُستدلّ على الإيجابي"، أي من معرفة ما هو سليبي، أي ما هو محرّم، نستطيع استنتاج ما هو إيجابي، أي ما هو صواب في نظر الله عزّ وجلّ. فمثلاً من شدّة التحريم المتعلّق بـ"حيلول هاشيم"، أي تدنيس اسم الله عزّ وجلّ، نستدلّ على عظم وأهميّة نقیض ذلك وهو "قَدْوش هاشيم"، أي تقديس اسم الله عزّ وجلّ.

ومن الطبيعي أن نستنتج أنّ هناك، من حيث المبدأ، مفهومًا يُسمّى "لشون هطوف"، أي الكلام الحسن، وهو ليس مجرد نفي لصدّه. فالسبيل إلى تجنّب "لشون هراع" يكون بالصمت، وقد أكثر الحكماء من الكلام عن فضيلة الصمت كما ورد في الـ"مِشناه" باب آفوت 17:1، و13:3. فالصمت يقينا من الكلام السيئ، غير أنّه في حدّ ذاته لا يُحقّق شيئاً إيجابياً. فما هو "لشون هطوف" إذن؟

"لشون هطوف" هو الثناء الدقيق المحدّد، وهو من أهمّ مهامّ القائد والوالد والصدیق. والنصّ الكلاسيكي عن هذا الموضوع هو ما ورد في الـ"مِشناه" باب آفوت في الفقرة الحادية عشرة من المقطع الثاني، حيث يُعدّد الحاخام يوحنا بن زكاي محاسن خمسة من أحبّ تلاميذه فيقول: إلیعزر بن هورقانوس هو كالبرّ المطلي بالشيد لا يُضیع قطرة واحدة من الماء، ويهوشوع بن حنانيا طوبى لمن أنجبه، ويوسيه الكاهن رجلٌ تقى، وشمعون بن نتنيل رجلٌ يتحاشى الخطيئة، وإلغاز بن عراخ نبعٌ يتدفّق دون انقطاع.

ولا يهدف هذا النص إلى إخبارنا بأنّ الحاخام يوحنا بن زكاي كان له تلاميذ، فكلّ حاخام له تلاميذ. إنّ توجيه "أنشئ الكثير من التلاميذ" الوارد في الـ"مِشناه" باب آفوت في الفقرة الأولى من المقطع الأول هو من أقدم التعاليم الحاخامية المدوّنة. ما تهدف الـ"مِشناه" إلى تعليمنا إياه هنا هو طريقة صناعة وتنشئة التلاميذ. فمن السهل أن يكون للإنسان طلاب يوافقونه الرأي من دون تمحيص ويتبعونه من غير نقد، غير أنّ هؤلاء الطلاب لا يصبحون أبدًا عقولاً مُبدعة بذاتها، فليس صعباً أن نصنع أتباعاً، لكنّ الأشدّ صعوبةً والأكثر تأثيراً هو تنشئة تلاميذ يصبحون قادة.

لقد كان الحاخام يوحنا بن زكاي معلّماً عظيماً، إذ صار خمسةً من تلاميذه عمالقاً بقدراتهم الخاصة كلّ في مجاله، والـ"مِشناه" توضّح لنا كيف نجح في ذلك من خلال الثناء الدقيق المحدّد. فقد أظهر لكلّ تلميذ أين تكمن قوّته، فاليعزر بن هورقانوس الذي شَبَّهه بالبئر المطليّ بالشيد الذي لا يُضَيّع قطرة واحدة من الماء، امتلك ذاكرةً باهرة كانت نعمّة كبرى في زمنٍ كانت فيه المخطوطات نادرة، ولم تكن الشريعة الشفوية قد جُمعت في نصّ مكتوب. أمّا شمعون بن نتنئيل، الرجل الذي يتحاشى الخطيئة، فلعلّه لم يكن لامع الذكاء كغيره من زملائه، غير أنّ طبيعته الورعة والوقورة، وخشيته العظيمة لله، كانت تذكيراً دائماً لهم بأنّهم ليسوا مجرد دارسين للشريعة اليهودية بل رجال يؤدّون مهمّة مقدّسة. وأمّا إلغاز بن عراخ، النبع الذي يتدفّق دون انقطاع، فكان يمتلك عقلاً مبدعاً يصدر عنه باستمرار قراءاتٍ وتأويلاتٍ جديدة للنصوص القديمة.

اكتشفتُ القوّة التحويلية للثناء المُحدّد بفضل واحدةٍ من أكثر الشخصيات تميراً التي عرفتها في حياتي، وهي الراحلة ليّنا راستن. كانت ليّنا معالجة نُطق، تخصّصت في مساعدة الأطفال الذين يعانون من التأتأة، وتعرّفتُ إليها أثناء إعداد وثائقي تلفزيوني لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC) عن واقع الأسرة في بريطانيا. كانت ليّنا تؤمن بأنّ الأطفال الذين تُعالجهم والذين يعانون من التأتأة، ويقارب متوسط أعمارهم خمس سنوات، يجب أن يُفهموا ضمن سياق أسرهم. فالأسرة تميل إلى خلق حالةٍ من التوازن، وإذا كان أحد أطفالها يُتأتّى يتكيف الجميع مع ذلك، ولذلك إن أردنا معالجة الطفل ومساعدته على التخلص من التأتأة، فلا بدّ من إعادة التفاوض على جميع العلاقات داخل البيت، فلا يتعيّن على الطفل وحده أن يتغيّر، بل يجب أن يتغيّر الجميع معه.

وبوجه عام يميل الإنسان إلى مقاومة التغيير، إذ نستقرّ في أنماط سلوكية نألفها ونرتاح لها، حتى تُصبح أشبه بكرسيٍّ قديم اعتدنا عليه، أو زوجٍ مريحٍ من الأحذية، فكيف يمكن إذن خَلْقُ جوٍّ في البيت يُشجّع على التغيير ويجعله غير مُخيف؟ الجواب الذي اكتشفته ليّنا هو الثناء المُحدّد. فقد كانت تطلب من الأسر التي تعمل معها أن يلتفت كلّ واحدٍ منهم كلّ يومٍ إلى فعلٍ صائبٍ يقوم به أحد أفراد العائلة، وأن يُعبّروا له عن ذلك تعبيراً واضحاً ومباشراً وإيجابياً وممتناً.

ولم تكن تُطيل الشرح أو تُسهب في التفاصيل، غير أنّي، وأنا أراقب عملها، بدأت أدرك ما كانت تقوم به بالضبط. لقد كانت تخلق داخل كلّ بيتٍ جوّاً من الاحترام المتبادل والتعزيز الإيجابي المستمر. كانت تريد من الوالدين أن يصنعا بيئةً تُؤلّد في كلّ فردٍ احترام الذات والثقة بالنفس، دون أن يقتصر ذلك على الطفل المتأتّى وحده، بل على جميع أفراد الأسرة، حتى يُصبح جوّ المنزل بأسره جوّاً يشعر فيه الجميع بالأمان، من أجل أن يتغيّروا ويساعدوا غيرهم على التغيّر أيضاً.

ثم أدركتُ فجأةً أنّها اكتشفتُ حلاً لا يقتصر على الأطفال الذين يعانون من التأتأة وحدهم، بل يشمل ديناميكيات الجماعة بأسرها، وقد تأكدتُ حداثي بطريقةٍ مُفاجئةٍ؛ إذ نشأت بين أفراد طاقم التصوير الذي أعمل معه توتراتٍ، حيث سارت عدّة أمور بشكلٍ خاطئٍ واشتدّ اللوم المتبادل. لكن، بعد تصوير جلسةٍ ليّنا راستن تُعلّم فيها الآباء كيفية تقديم الثناء لأبنائهم وكيفية تلقّيه، بدأ أفراد الطاقم يُننون على بعضهم. وفي الحال، وبشكلٍ تلقائيٍّ، تبدّلت الأجواء تماماً وزال التوتر، وأصبح التصوير ممتعاً من جديد. إنّ الثناء يمنح الناس الثقة للتخلّي عن الجوانب السلبية في شخصياتهم وتحقيق كامل إمكاناتهم.

تكن في الثناء رسالةً روحيّة عميقة لم أفهمها تماماً من قبل. فنحن نظنّ أنّ الدّين يتمحور حول الإيمان بالله عزّ وجلّ، غير أنّي أدركتُ أنّ الإيمان الحقيقيّ بالله يجب أن يقودنا إلى الإيمان بالناس، لأنّ صورة الله مطبوعة في كلّ واحدٍ منّا، ونحن مدعوّون إلى تعلّم كيفية رؤية تلك الصورة وتمييزها في الآخرين. وبعدها فهمتُ أنّ العبارة المتكررة في المقطع الأول من سفر التكوين "لَمَّا عَلِمَ اللهُ أَنَّ ذَلِكَ جَيِّدٌ" تهدفُ لتعلّمنا كيف نرى الخير في الناس وفي أحداث الحياة، فحين نراه ونتحدّث عنه نُسهّم في تعزيزه وتقويته.

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى الْآخَرِينَ؟

وأدركتُ أيضًا أنَّ الله عزَّ وجلَّ عاقبَ نبيَّه ورسولَه موشيه/موسى لفترة قصيرة بجعل يده برصاء، كما رأينا حين تناولنا النصَّ الأسبوعيَّ السابق "تُزْرِيع"، لأنَّه قال عن بني إسرائيل: "لَعَلَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي، وَلَا يَقْتُلُونَ مِنِّي"، كما ورد في الآية الأولى من المقطع الرابع من سفر الخروج. كان الله عزَّ وجلَّ يُعلِّمه درسًا أساسيًا في القيادة، وهو: ليس المهمُّ إن كانوا يؤمنون بك، بل إن كنتَ أنتَ تؤمن بهم.

وتعلَّمتُ درسًا آخر في معنى الثناء من امرأةٍ حكيمةٍ أخرى هي عالمة النفس في جامعة ستانفورد كارول دويك، التي تقول في كتابها Mindset (أي العقلية)¹، إنَّ هناك فرقًا حاسمًا بين نهجين في النظر إلى القدرات الإنسانية: فهناك من يعتقد أنَّ قدراتنا فطرية ومحددة منذ البداية وإلى الأبد، وهو ما تسميه العقلية الثابتة (fixed mindset)، وهناك من يرى أنَّ الموهبة تُكتسب مع الزمن من خلال الجهد والممارسة والمثابرة، وهي ما تسميه عقلية النمو (growth mindset). ويميل الأشخاص الذين يتبنون النهج الأول إلى تجنُّب المخاطرة، إذ يخافون أن يُظهر الفشل أنَّهم ليسوا جيدين كما كان يُعتقد. أمَّا من يتبنون النهج الثاني، أي عقلية النمو، فيرحِّبون بالمخاطرة لأنَّهم يرون في الفشل تجربةً يمكنهم التعلُّم منها والنمو من خلالها. وبناءً على ذلك، يتبيَّن لنا أنَّ هناك ثناءً جيّدًا وثناءً سيئًا. فلا ينبغي للآباء أو المعلمين أن يُثَنُّوا على الطفل ثناءً مطلقًا أو عامًّا، فيقولون له مثلاً: "أنتَ عبقريّ، أو موهوب، أو نجم"، بل ينبغي أن يُثَنُّوا ثناءً محددًا على الجهود التي يبذلها الطفل، فيقولون له مثلاً: "لقد حاولتَ بجِدِّ، وبذلكَ أفضل ما عندك"، فالمطلوب هو تشجيع عقلية النمو لا العقلية الثابتة.

لعلَّ هذا يُفسِّر النهاية الحزينة في حياة اثنين من أبرز تلاميذ الحاخام يوحنا بن زكاي. فالـ"مِشناه" - التي تلي الفقرة التي أوردناها من مِشناه آفوت - تقول في الفقرة الثانية عشرة من المقطع الثاني ما يلي: "اعتاد (الحاخام يوحنا بن زكاي) أن يقول: لو أنَّ جميع حُكماء إسرائيل وُضعوا في كِفَّة الميزان، وُضع إليعزر بن هورقانوس في الكِفَّة الثانية، لَرَجَحَت كِفَّتُه هُوَ. وقال أبا شاؤول نقلًا عن الحاخام يوحنا بن زكاي: لو أنَّ جميع حُكماء إسرائيل، ومن بينهم إليعزر بن هورقانوس، وُضعوا في كِفَّة الميزان، وُضع إلغاز بن عراخ في الكِفَّة الثانية، لَرَجَحَت كِفَّتُه هُوَ".

ومع مرور الزمن، انتهت حياة الرجلين نهايةً مؤلمة. إذ إنَّ زملاء إليعزر بن هورقانوس أقصوه عنهم لأنَّه رفض قبول رأي الأغلبية في مسألة من مسائل الشريعة اليهودية (باب "بافا متسيعا" 59 ب). وأمَّا إلغاز بن عراخ، فقد انفصل عن زملائه بعد وفاة معلِّمه، حيث ذهبوا إلى أكاديمية يَفْنِيه، وذهب هو إلى حمات (عمواس)، الذي كان مكانًا جميلًا للعيش، لكنَّه كان خاليًا من علماء التوراة، فانقطع عن دراسة التوراة، ومع مرور الوقت نسي ما كان قد تعلَّمه، وأصبح ظلًّا باهتًا لما كان عليه سابقًا (باب السُّبَّات 147 ب). ويبدو أنَّ الحاخام يوحنا بن زكاي، حين أثنى على أفضل تلميذين لديه بما أبرزاه من مواهب فطرية، لا بما بذلاه من جهدٍ وكدٍّ، شجَّعهما من حيث لا يدري على تنمية عقلية ثابتة، بدلًا من مواصلة التعلُّم والنموِّ الفكريِّ والروحيِّ، والانفتاح على آراء زملائهما والاستماع إليهما.

إنَّ الثناء، وكيفية قيامنا به، عنصرٌ أساسيٌّ في كلِّ شكلٍ من أشكال القيادة. فحين نُدرِك الخير في الناس ونحدِّث عنه علنًا، نُسهِم في إخراج طاقاتهم الكامنة إلى حيَّز الفعل. وُيَشَجَّعُ الثناء على الجهد، بدل الثناء على الموهبة، النموُّ المستمر، وهو ما عبَّر عنه الحكيم هليل حين قال: "مَنْ لَا يَزِيدُ عِلْمُهُ يَفْقَدُهُ"، كما ورد في الـ"مِشناه" باب آفوت 13:1.

إنَّ النوع الصحيح من الثناء قادرٌ على أن يُغيِّر حياة الناس، وتلك هي قوَّة "لَشون هَطوف". فبينما يحطُّ الكلام السيِّئ من قدرنا، يُمكنُ للكلام الحسن أن يرفعنا إلى قمم شاهقة، وذلك ما عبَّر عنه الشاعر ويسن هيو أودن في قصيدة جميلة كتبها في رثاء الشاعر ويليام بتلر بيتس:

في سجنِ أيَّامِهِ ،

علَّم الإنسانُ الحُرَّ كيف يُثني على الآخرِين.²

1. Carol Dweck, *Mindset* (New York: Ballantine Books, 2007).

2. W. H. Auden, "In Memory of W. B. Yeats," *Another Time* (New York: Random House, 1940)

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



[f](#) [t](#) [@](#) [in](#) [v](#) | RABBISACKS.ORG